مناهج المفسرين : منهج الإمام الطبري في تفسيره

Miftahul Huda
INISA Tambun-Bekasi
misykat_iiq@yahoo.com

Abstrak

Ibnu Jarir al-Tabari adalah satu diantara ulama tafsir yang turut memperkaya turats Islam (839-923 M/224-310 H) yang dipandang sebagai tokoh pewaris terpenting dalam tradisi keilmuan Islam klasik, seperti ilmu *hadis*, *fiqh*, *lughah*, *tarikh* termasuk *tafsir* al-Qur'an. Salah satu karya besarnya, Jami' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an menjadi rujukan utama, sehingga berhasil mendongkrak popularitasnya ke-panggung dunia di tengah-tengah "masyarakat membaca", karyanya saat ini merupakan sebuah ensiklopedi komentar dan pendapat tafsir yang pernah ada sampai masa hidupnya hingga beberapa generasi telah menyambut baik dan antusias terhadapnya.

Di dalam kitab tafsirnya "Jami' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an" mengelaborasi tema takwil dan tafsir menjadi sebuah konstruksi pemahaman yang utuh. Baginya kedua istilah itu adalah *mutaradif* (sinonim). Keduanya merupakan inti di dalam memahami kitab suci al-Qur'an yang pada umumnya tidak cukup hanya dianalisis melalui kosakatanya, tetapi memerlukan peran aktif logika dan aspek-aspek penting lainnya, seperti *munasabah* ayat dan atau surat, tema (*ma'udu*), *asbab al-nuzul* dan sebagainya. Tafsir al-Tabari, dikenal sebagai tafsir *bi al-ma'sur*, yang mendasarkan penafsirannya pada riwayat-riwayat yang bersumber dari Nabi Saw, para sahabatnya, *tabi'in*, dan *tabi'ut tabi'in*. Melalu artikel ini mencoba menganalisis metode imam Jarir al-Tabari dalam kitab tafsirnya.

Kata Kunci : *al-Tabari; Metode; Tafsir bi al-Ma'sur*

مقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وهو القائل وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا[1] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد.

فإن الكلام عن مناهج المفسرين من العلوم المهمة لأنّ التفاسير لكتاب الله جلّ وعلا كثرت جدّا حتى بلغت أكثر من مائة تفسير موجود بين أيدينا اليوم ، والتفاسير المفقودة كثيرة والتي لم تطبع كثيرة أيضا ، ولا بدّ لطالب العلم الذي يحرص على معرفة معاني كلام الله جلّ وعلا أن يعلم مناهج المفسرين وطرائقهم حتى إذا راجع تفسيرا لأحد المفسرين يعلم مع ما يتميز به ذلك التفسير ويعلم منهج المؤلف حتى لا يضيع بين كثرة التفاسير.

المطلب الأول : التعريف بابن جرير الطبري

حياته :

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، يكنى بأبي جفعر، ويلقب بالطبري نسبة إلى طبرستان[2] وله العلم، المجتهد عالم العصر، أبو جعفر الطبري، من أهل آمل طبرستان. وولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. قل أن ترى العيون مثله.[3]

[1] سورة الفرقان : ٣٣

[2] ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر – بيروت، ج، ١، ص، ٥٧

[3] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ج، ٢٧، ص، ٢٩٨

كان محمد بن جرير الطبري من علماء هذه الأمة المعتبرين والمعتمدين، عاش في القرن الثالث من الهجرة واستقر به المقام في بغداد حاضرة العالم الإسلامي حينئذ .

وبدأ في طلب العلم منذ صغره على شيوخ بلده، ورحل في طلب العلم إلى بلاد شتى، وطوَّف في بلاد المسلمين كثيراً، ثم ألقى عصى الترحال، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنوات، وكتب الحديث وهو ابن تسع، ورحل في طلب العلم إلى الريّ والبصرة والكوفة وبغداد والشام ومصر، واستقر في بغداد حتى توفي بها سنة ٣١٠ هـ.

شخصيته :

اتصف بالذكاء والنبوغ، وسعة الاطلاع، والتفرغ لطلب العلم والانشغال به، مع الورع والزهد والقناعة باليسير، كما اتصف بالكرم والسخاء، والقوة في الحق والثبات عليه.[٤] كان رحمه الله فقيهاً عالماً، برع في علوم كثيرة؛ كالقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغيرها من العلوم؛ وصنف في علوم كثيرة، وصل إلينا منها كتابه في التفسير "جامع البيان في تفسير القرآن" تلك المصنفات التي أجاد فيها وأفاد تخبر بسعة علم الرجل، وغزارة إنتاجه، وقوة حجته. قال عزيز بن محمد وهو تلميذه : وكان أبو جعفر ظريفاً في ظاهره، نظيفاً في باطنه، حسن العشرة لمجالسيه، متفقداً لأحوال أصحابه، مهذباً في جميع أحواله، جميل الأدب في مأكله وملبسه[٥]

[٤] انظر، الذَهَبي، سير أعلام النبلاء، المحقق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ج، ١٤، ص، ٢٧٤

[٥] ياقوت بن عبد الله الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: معجم الأدباء، ج، ٢، ص، ٣٧٥

وكان علاوة على ذلك صاحب مذهب فقهي، بيد أنه لم يُقيَّض له من الأتباع من ينشر آراءه ويتبناها، فبقيت منثورة هنا وهناك. وما يهمنا في الحديث عن هذا الإمام الجليل كتابه "الجامع" ومنهجه في التفسير؛ فالطبري – بلا منازع– أُعتبر أباً للتفسير، بَلْ شيخ المفسرين، وعُدَّ تفسيره من أقوم التفاسير وأشهرها، والمرجع الأول للتفسير بالمأثور .

مذهبه

من اليسير على من يستقرئ كتابات الطبري أو ما كتب عنه أن يتبين أنه وعلى وجه العموم كان يسير على منهج السلف ويدين بما كانوا يدينون به متجنبا أهل البدع والضلالة وكذلك أهل الكلام والاعتزال. وقد لا يجيئ المرء في مؤلفاته ما ينم على توافقه الفكري أو العقائدي مع الفرق التي زخرت بها الساحة الإسلامية خلال القرن الثالث الهجري باستثناء فرقة أهل السنة والجماعة، وكثيرا ما نجد وخاصة في تفسيره ردودا على أصحاب هذه الاتجاهات أو على بعضهم كما سنعرض إلى ذلك في كلامنا على منهجه في التفسير.[٦]

ومع ذلك فقد تداول ناس فيما بينهم أن تشيعا كان فيه. وقد أورد الذهبي هذا الخبر وبرأ الطبري منه حين قال : وكان ابن جرير من رجال الكمال، وشنع عليه بيسير تشيع وما رأينا إلا الخير، وبعضهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح الرجلين في الوضوء ولم نر ذلك في كتبه.[٧]

[٦] عباس التوفيق، محمد بن جرير الطبري ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ، ج١، ص، ٨

[٧] عباس التوفيق، محمد بن جرير الطبري ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ، ج١، ص، ٨

ثناء العلماء عليه :

أثنى العلماء على ابن جرير، فهو عندهم أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين، في الأحكام ومسائل الحلال والحرام.[٨]

وقد اتفق العلماء على عظم مكانة جامع البيان عن تأويل آي القرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٩] "وأما التفاسير التي بأيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري فإنه يذكر مقالات السلف الأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي.[١٠] وقال النووي" أجمعت الأمة على انه لم يصنف في التفسير مثل تفسير الطبري" قال السيوطي[١١] "وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين".

[٨] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج، ١، ص، ٢٦٤

[٩] تقي الدين أحمد ابن تيمية حران ١٢٦٣ م – دمشق ١٣٢٨م، رجل دين إسلامي ولد في ١٠ ربيع الأول٦٦١هـ / ١٢٦٣م أحد علماء المذهب الحنبلي وله مساهماته في كل من الفقه و الحديث والعقيدة وأصول الفقه والفلسفة والمنطق والفلك، كما أنّه كان بارعًا في شرح الحساب والجبر

[١٠] فتاوى ابن تيمية، ج، ٢ ، ص، ١٩٢

[١١] عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي،)القاهرة ٨٤٩ هـ/١٤٤٥ م– القاهرة ٩١١ هـ /١٥٠٥ م من كبار علماء المسلمين.

وقال الإسفراييني "لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً.[١٢] وذكر ابن السبكي[١٣] أن التفسير الذي بين أيدينا للطبري، ليس إلا مختصراً لتفسير كبير كان الطبري قد وضعه.

وقال الخطيب[١٤] سمعت علي بن عبيد الله اللغوي يقول: مكث ابن جرير أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة وأما أبو محمد الفرغاني فقال في " صلة التاريخ " له: إن قوما من تلامذة أبي جعفر الطبري حسبوا لأبي جعفر منذ بلغ الحلم، إلى أن مات، ثم قسموا على تلك المدة أوراق مصنفاته، فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة.

وقال أبو محمد الفرغاني[١٥] كان محمد بن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد. فأما أهل الدين والعلم فغير منكرين علمه وزهده في الدنيا ورفضه لها، وقناعته بما كان يرد عليه من حصة خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة.[١٦] وقال ابن خزيمة: نظرت في تفسيره من أوله إلى آخره فما أعلم على أديم. وقال أبو علي الطُّوماري: كنت مع أبي بكر بن مجاهد في رمضان فسمع قراءة ابن جرير فقال: ما ظننتُ أن الله تعالى خلق بشراً يُحسن يقرأ هذه القراءة.

---

[١٢] السيوطي، طبقات المفسرين، ج، ١، ص، ٨٢

[١٣] أبو نصر تاج الدين عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السبكي١٣٢٧ - ١٣٧٠م / ٧٢٧ هـ - ٧٧١ هـ فقيه شافعي، ومؤرخ عربي وقاضي القضاة في دمشق ، انتقل إلى دمشق مع والده الفقيه تقي الدين السبكي وهو صغير فسكنها وعاش حياته وأصبح من أشهر القضاة في دمشق وتوفي بها

[١٤] أبو بكر أحمد بن عبدالمجيد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ٢٤ جمادى الثاني ٣٩٢ هـ ١٠ مايو ١٠٠٢م - ٤٦٣ هـ ١٠٧١م مؤرخ عربي.

[١٥] وهوأبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني .عالم رياضياتي وفلكي مسلم، توفي بعد سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م، وولد في مدينة فرغانة في أوزبكستان اليوم ثم انتقل إلى بغداد وعاش فيها أيام الخليفة العباسي المأمون في القرن التاسع الميلادي.

[١٦]الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، ج، ٧، ص، ١٦٠

مؤلفاته :

كان الطبريّ من أكثر الناس تأليفًا، فقد قسم بعض تلاميذه أوراق مصّنفاته على عدد أيام حياته، منذ بلوغه إلى أن ُتوّفي وهو ابن ست وثمانين، فكان لكلّ يوم أربع عشرة ورقة. وحكى الخطيب عن بعض تلاميذه أنه كان مكث أربعين سنة يكتب في كلّ يوم منها أربعين ورقة.[١٧]

ومن مؤلفاته :

١. تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن : وهو الكتاب المشهور بتفسير الطبري

ولعله من أهم ما كتب على الإطلاق ومن أقربها إلى نفسه واهتماماته، فهو الكتاب الوحيد الذي قال عنه إنه كان يحدث نفسه به منذ أن كان صبيا. وإنه كان يستخير الله تعالى على عمله ويسأله العون عليه ثلاثة أعوام من قبل أن يشرع عليه.

٢. تاريخ الرسل والملوك، وهو أهمّ كتب التاريخ : ولعله أهم كتاب في التاريخ خلفه

عالم مسلم في القرون الهجرية الأولى، وتمكن أهميته في أنه مبني على ما سبقه من كتب المؤرخين وأهل السير، فهم يشتمل عليها أو على جوهرها، من جهة ويشكل واحدا من أهم المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون اللاحقون من جهة أخرى. [١٨]

[١٧] النووي، تهذيب الأسماء واللغات، المحقق مصطفى عبد القادر عطا، ج، ١، ص، ١٠٧

[١٨] عباس التوفيق، محمد بن جرير الطبري ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ، ج١، ص، ٢٨

٣. تهذيب الآثار : وهو من عجائب كتبه، تكّلم فيه عن علل الحديث، وطرقه، ومعانيه، وغريبه، وفقهه، واختلاف العلماء فيه .وقد مات قبل أن يتمّه، ونشر الشيخ أحمد شاكر[١٩] بعضه.

٤. كتاب القراءات

٥. كتاب اختلاف العلماء.

٦. أحكام شرائع الإسلام :ألّفه على ما أدّاه إليه اجتهاده.

٧. كتاب الخفيف :وهو مختصر في الفقه.

٨. كتاب التبصير في أصول الدين.

٩. كتاب البسيط، وهو في الفقه، ولم يكمله

مكانته

وقد أجمع العلماء على عظيم قيمة هذا التفسير، وأنه لا غنى عنه لطالب العلم عموماً، وطالب التفسير على وجه الخصوص؛ يقول النووي فيه "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري". أما ابن تيمية فيقرر أن تفسير الطبري أصح التفاسير التي بين أيدي الناس. وقد كان " تفسير الطبري" محط اعتبار عند المتقدمين، وكان كذلك عمدة عند المتأخرين من أهل العلم عموماً والتفسير خصوصاً؛ فهو مرجع الأولين، وهو ملاذ الآخرين في موضوع التفسير .[٢٠]

[١٩] من كبار العلماء المحققين في علم الحديث، ولد سنة ١٨٩٢ وتوفي سنة ١٩٥٨ ، عمل في سلك القضاء، وترك كثيرًا من المؤلفات منها تحقيقه لتفسير الطبري ومسند أحمد وسنن الترمذي ولم يتم شيئًا منها

[٢٠] http://www.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&id=38369

وكما كان لهذا التفسير أوَّليَّة زمانية فقد كان له كذلك أوَّليَّة موضوعية، فهو لم يقتصر على لون واحد من التفسير، بل اشتمل على ألوان من التفسير، رفعت من شأنه، وجعلت له تلك المنزلة عند العلماء؛ فالطبري –على الرغم من اعتماده على التفسير بالمأثور أساساً– جمع إلى جانب الرواية جانب الدراية، واهتم بالقراءات القرآنية أي اهتمام، وكان له اعتناء بعرض وجوه اللغة، فضلا عن آرائه الفقهية واجتهاداته التي أودعها كتابه المذكور إلاَّ أن السمة البارزة التي ميزت الطبري في "جامعه" ذاك المنهج العلمي الذي سلكه في التفسير؛ فالطبري بحق كما يتبين لقارئ تفسيره كان صاحب منهج واضح.[٢١]

تبوأ الطبري مكانة عالية في تاريخ الثقافة الإسلامية وذلك لجهوده الكبيرة وأعماله الموسوعية التي كرسها لخدمة هذه الثقافة بمختلف تفرعاتها. فعلاوة على كتابيه تاريخ الأمم والرسل المعروف بتاريخ الطبري وجامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري كانت له اليد الطولى في معادين معرفية عديدة وصنف فيها مؤلفات بقي بعضها حتى يومنا هذا فيما ضاع بعضها الآخر.[٢٢]

وتنم مصنفاته عموما وكتابته التي تصب في المسائل الدينية خصوصا على علم غزير وقدرة عالية على عرض الآراء بموضوعية تامة ومناقشتها والموازنة فيما بينها واستنباط الأحكام منها. وقد أثنى عليه علماء السلف لجلال قدره وعلو مرتبته وسعة علمه.[٢٣]

[٢١] http://www.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&id=38369

[٢٢] عباس التوفيق، محمد بن جرير الطبري ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ، ج١، ص، ١٠

[٢٣] عباس التوفيق، محمد بن جرير الطبري ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ، ج١، ص، ١٠

وشيوخه

سمع من محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وإسماعيل بن موسى الفزاري، وأبا كريب، وهناد بن السري، والوليد بن شجاع، وأحمد بن منيع، ومحمد بن حميد الرازي، ويونس بن عبد الأعلى، وخلقا سواهم.

وقرأ القرآن على: سليمان بن عبد الرحمن الطلحي صاحب خلاد. وسمع الحروف من يونس بن عبد الأعلى، وأبي كريب، وجماعة. وصنف كتابا حسنا في القراءات، فأخذ عنه: ابن مجاهد، ومحمد بن أحمد الداجواني، وعبد الواحد بن أبي هاشم[٢٤]

وتلاميذه

أحمد بن كامل ومخلد بن جعفر وأحمد بن أبي طالب الكاتب وأبو بكر الشافعي وخلق[٢٥] أبو شعيب الحرانيوهو أكبر منه سنا وسندا الباقرحي، والطبراني، وعبد الغفار الحضيني، وأبو عمرو بن حمدان، وأحمد بن كامل، وطائفة سواهم. [٢٦]

الشريف أبو محمد الحسن بن حمزة المرعشي أبو الفرج الأصبهاني في أول ترجمة أبي الأسود من كتابه. [٢٧] أحمد بن كامل القاضي، ومحمد بن عبد الله الشافعي، ومخلد بن جعفر[٢٨]

---

[٢٤] الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، ج، ٧، ص، ١٦٠

[٢٥] العسقلاني، لسان الميزان، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م، ج، ٧، ص، ٢٥

[٢٦] الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، ج، ٧، ص، ١٦٠

[٢٧] العسقلاني، لسان الميزان، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م، ج، ٧، ص، ٢٥

[٢٨] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج، ١، ص، ٢٦٤

المطلب الثاني : منهجه في التفسير

آتضح ممّا سبق أن ابن جرير الطبريّ تمّتع بثقافة واسعة، فهو إمام في القراءات وإمام في الحديث، وإمام في معرفة أقوال السلف ومذاهبهم، وإمام في اللغة. ولقد جاء تفسيره للقرآن معبّرًا عن هذه الثقافة الواسعة، فهو ينقل بأسانيده المأثور عن النبيّصلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعيهم من أئمّة التفسير، ويذكر اختلاف القراءات، ويبيّن وجوه الإعراب، وهو لا يكتفي بالنقل، بل يحقّق ويمحّص ويعّلل ويوجّه ثم يرجّح ما يراه قويًّا

ومن هنا يّتضح أن الطبري لم يقف في تفسيره عند حدود التفسير بالمأثور، وإن كان إمامًا فيه، بل تجاوزه إلى الاجتهاد بالرأي على نحو يدلّ على استقلال فكره وعمق رأيه كان تفسيره تفسيرًا أثريًّا وعقليّا، يعتمد الرأي أصلا لاجوهريَا في منهجه، ويجعل من المعنى الظاهر ومن المأثور منطلقًا للغوص في دقائق المعنى القرآنيّ وأسراره.[٢٩]

وعلى ذلك يكون الإمام الطبريّ قد أصّل علم التفسير تأصي ً لا راسخًا موضوعيًّا يعتمد الأثر واللغة والنظر فمنهجه يجمع بين الخطين الأساسيّين في التفسيرقبله خط التفسير بالمأثور القائم على النقل والرواية، وخط التفسير البيانيّ القائم على اللغة والبيان، فهو يوظف الأثر واللغة والنظر، وهو خير من يمّثل منهج التفسير الأثريّ النظريّ[٣٠]

[٢٩] انظر الدريني، فتحي :دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى ، ص، ٢٣٣ – ٢٧٧

[٣٠] الخالدي :صلاح عبد الفتاح :تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط. ١، ٢٠٠٢ ، ص، ٣٥٧

ولقد قدّم ابن جرير لتفسيره بمقدّمة تكشف عن منهجه في التفسير فبيّن شرف علم التفسير، فهو أحق ما صُرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، لأنّ لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى. [٣١]

ثم قال ونحن في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه، منشئون إن شاء الله ذلك كتابًا مستوعبًا لكل ما بالناس إليه حاجة من علمه جامعًا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيًا، ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتّفاق الحجّة، فيما اتّفقت عليه الأمّة، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبيّنو علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضّحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه

وهذه العبارات تكشف عن ثلاثة أمور:

١. حرص ابن جرير على العرض الشامل لقضايا التفسير، وذكر أقوال أهل العلم فيها.
٢. حرصه على بيان علل هذه الأقوال وتوجيهها.
٣. حرصه على الموازنة بينها، واختيار الراجح منها.

فالإمام الطبري جعل تفسيره ميدانًا لما يُسمّى بالتفسير المقارن ، وصاغه على أسس الجدال والنقاش العلميّ الموضوعيّ المنهجيّ، فكان يورد فيه علل وأدّلة وتوجيهات كلّ مذهب من مذاهب السابقين، وكلّ قول من أقوالهم . وهذا من علميّته وموضوعيّته، فهو أمين حتى مع الأقوال التي يخالفها ويراها مرجوحة مردودة، فقبل أن يردّها يسجّل عللها وأدّلتها.[٣٢]

[٣١] انظر الدريني، فتحي :دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى ، ص، ٢٣٣ – ٢٧٧

[٣٢] الخالدي، **تعريف الدارسين**، ص، ٣٦٠ – ٣٦١

أملى ابن جرير كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن على تلاميذه من سنة (٢٨٣) إلى سنة (٢٩٠) ، ثمَّ قُرئ عليه سنة (٣٠٦) ، وقد أطبق العلماء على الثناء على كتابه.

وقد قدَّمَ الطبريُّ لتفسيرِه بمقدمة علميَّةٍ حشدَ فيها جملة من مسائل علوم القرآن ، منها : اللغة التي نزل بها القرآن والأحرفُ السبعة ، والمعربُ ، وطرق التفسيرِ ، وقد عنون لها بقوله (القول في الوجوه التي من قِبَلِها يُوصلُ إلى معرفةِ تأويلِ القرآنِ) ، وتأويل القرآنِ بالرأي ، وذكر من تُرضى روايتهم ومن لا تُرضى في التَّفسيرِ. ثمَّ ذكر القولَ في تأويلِ أسماء القرآنِ وسورِه وآيه ، ثمَّ القول في تأويلِ أسماء فاتحة الكتابِ ، ثمَّ القول في الاستعاذةِ ، ثُمَّ القول في البسملةِ ثمَّ ابتدأ التفسيرَ بسورة الفاتحة ، حتى ختم تفسيرَه بسورةِ النَّاسِ .[٣٣]

ونستطيع أن نوجز منهج الطبري في "تفسيره" في النقاط التالية

١. اعتماده أساساً على التفسير بالمأثور الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو صحابته الكرام، أو التابعين؛ وهو لا يكتفي بذلك، بل نجده يشدد النكير على من يفسر القرآن بمجرد الرأي فحسب. ولا يُفهم من هذا النهج أن الطبري لم يكن يُعمل الرأي في تفسيره، بل الواقع خلاف ذلك، إذ إننا كثيرًا ما نجده يُرجِّح أو يصوب أو يوجِّه قولاً لدليل معتبر لديه.
٢. ان يقف من السند موقف الناقد البصير، والعالِم النحرير، الذي لا يقبل الرواية إلا بعد تمحيص وتدقيق
٣. ثم إنه كان يقدر إجماع الأمة، ويعطيه اعتباراً كبيراً في اختيار ما يذهب إليه ويرتضيه .

[٣٣] http://vb.tafsir.net/tafsir95/#.Vu5bw08sxkQ

٤. أما منهجه في التعامل مع القراءات القرآنية فيقوم على رد القراءات التي لم ترد عن أئمة القراءات المشهود لهم، أما القراءات الثابتة فكان له اختيار فيها؛ فهو أحياناً يرفض بعضها لمخالفتها الإجماع، وأحياناً أخرى يفضِّل قراءة على أخرى لوجه يراه، ويكتفي حيناً بالتسوية بين تلك القراءات دون ترجيح

٥. ومن منهجه كذلك أنه لم يكن يهتم بتفسير ما لا فائدة في معرفته، وما لا يترتب عليه عمل؛ كمعرفة أسماء أصحاب الكهف، ومعرفة نوع الطعام في المائدة التي نزلت على رسول الله عيسى عليه السلام ونحو ذلك

٦. وكان الطبري يحتكم كثيراً في تفسيره عند الترجيح والاختيار إلى المعروف من كلام العرب، ويعتمد على أشعارهم، ويرجع إلى مذاهبهم النحوية واللغوية

٧. وكما أشرنا بداية فقد كان الطبري صاحب مذهب فقهي، وهذا واضح في "تفسيره"، فنحن كثيراً ما نراه يعرض لآيات الأحكام ويناقشها ويعالجها، ثم يختار من الأحكام الفقهية ما يراه الأقوى دليلاً والأوجه تعليلاً

٨. وكان من منهج الطبري أيضاً تعرضه لكثير من مسائل علم الكلام والعقيدة، والرد على كل من خالف فيها ما عليه أهل السنة والجماعة، وكان هذا النهج واضحًا لديه في رده على كثير من آراء المعتزلة ومن شابههم .

٩. ثم أخيراً نَلْمَحُ الطبري يسوق في تفسيره أخباراً من القصص الإسرائيلي، ومن ثَمَّ يتعقَّبها بالنقد والتمحيص لكن وعلى الرغم من ذلك فاته بعض المرويات التي لا تزال تحتاج إلى النقد الفاحص، والتمحيص الناقد

الأسس التي بنى ابن جرير عليها تفسيره

بيّن الطبريّ أنّ ممّا أنزل الله على نبيّه ما لا يعلم حقيقته إلا الله، وذلك كوقت الساعة، ومنه ما لا يعلم تأويله إلا عن طريق النبيّ وهو ما يتعّلق ببيان الأحكام التي جاءت مجملة في القرآن وترك بيانها للنبي وهذا لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان النبي ومنه ما يعلم تأويله كلّ ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن، ومنه ما لا يعلم تأويله إلا العلماء[٣٤]. والدارس لتفسير الإمام الطبري يمكنه القول :إنّ ابن جرير بنى تفسيره على الأسس الآتية :

١. تفسير القرآن بالقرآن

يلاحظ أنّ الطبريّ لم يتحدّث في مقدّمة تفسيره عن أهمّيّة تفسير القرآن بالقرآن؛ ذلك لأّنه يراه أمرًا مسّلمًا لا يحتاج إلى إثبات، ويدلّ على ذلك كثرة إيراده للنصوص القرآنيّة في سياق تفسيره ليبيّن علاقات العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والتفصيل، وغير ذلك ممّا يستدعيه التفسير ليقوم على وحدة موضوعيّة متماسكة[٣٥]

وممّا يدلّ على أهميّة تفسير القرآن بالقرآن عنده، ما بدأ به كتابه من الدعاء إلى الله سبحانه أن يوّفقه لإصابة صواب القول في مُحكمه ومُتشابهه، وحلاله وحرامه، وعامّه وخاصّه، ومجمله ومفسَّره، وناسخه ومنسوخه.[٣٦]

مثاله : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ **وَالدَّمُ** وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ بقوله تعالى قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ **دَمًا مَسْفُوحًا** أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ

---

[34] أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج، ١، ص، ٧٥

[٣٥] المالكيّ، محمّد، **دراسة الطبريّ للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان**، نشر وزارة الأوقاف في المملكة المغربية، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ص، ٩٥

[٣٦] أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج، ١، ص، ٧٥

٢. تفسير القرآن بالسنة النبوية

ينطلق الإمام الطبري في تأكيده على حجيّة السّنة النبويّة في التفسير من الأصول الإسلاميّة العقديّة والتشريعيّة التي تجعل السّنة النبويّة المصدر الثاني بعد القرآن الكريم فهو يذكر في مقدّمته الآيات التي تدلّ على ذلك ومنها قوله تعالى وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ[٣٧]

ويقول فقد تبيّن ببيان الله جلّ ذكره أنّ ممّا أنزل الله من القرآن على نبيّه ما لا يوصل إلى علم تأويله، إلا ببيان الرسول وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره :واجبه وندبه وإرشاده، وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يُدرَك علمُها إلا ببيان رسول الله لأمّته. وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله بتأويله بنصٍّ منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالّة أمّته على تأويله.[٣٨]

وقد ظلّ الطبري يؤكد في ثنايا تفسيره على مكانة السّنة النبويّة في التفسير، فنجده يقول مثل هذه العبارات تأويل القرآن غير مُدرَك إلا ببيان من جعل الله إليه بيان القرآن يقصد بذلك رسول الله.[٣٩]

ويقول من تأويل القرآن ما لا يُدرَك علمُه إلا ببيان الرسول، وذكر يُفصّل جمل ما في آيه من أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وسائر معاني شرائع دينه، الذي هو مجمل في ظاهر التنزيل، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة، لا يُدرَك علمُ تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسول الله.

---

[٣٧] سورة النحل : ٤٤

[٣٨] أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج، ١، ص، ٧٥

[٣٩] أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج، ١، ص، ٧٥

مثاله : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ **الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ** وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ بقوله صلى الله عليه وسلم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُحِلَّتْ لَنَا **مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ** فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ

٣. عنايته بالمأثور عن السلف

جمع الطبري في تفسيره أقوال أئمّة السلف من الصحابة وتلاميذهم في التفسير، ورواها عنهم بأسانيده .وهو يستخدم هذا المأثور ليعطي التفسير بعدًا علميًّا يكسبه قوّة وحجّة، ويُبعده عن التخمين والقول بغير علم.

كما كان يوظف اختلاف الأقوال والروايات ليعطي التفسير مرونة تنسجم مع اتّساع دلالة النص القرآني، ممّا ينشأ عنه أبعاد متعدّدة من الفهم والتفسير .ولذلك نرى الطبريّ في كثير من الأحيان يقبل الأقوال كّلها في تفسير الآية إذا كان معنى الآية يتسع لها يتسع. [٤٠]

ولم يكن الطبري يكتفي بذكر هذه الأقوال وسردها، بل كان يسلك سبيل حريّة الرأي في النقد والتمحيص والتقدير والترجيح بالأدّلة، مسلكًا ينمّ عن شخصيّته العلميّة الجادّة الموضوعيّة المنصفة حقًّا، تحرّيًا للحق القرآنيّ.

الخلاصة

ألخص ملخصًا موجزًا يصف طريقة ابن جرير في كتابه ، وهو من باب التذكرة ، إذ الكلام المفصل على منهج هذا الإمام لا يحتمله هذا المقام ، وما لا يُدركُ كله لا يُترك جُلُّه من أجل عدم إدراك الكلِّ.

١. من أجلِّ مقومات تراثنا التالد، موسوعة تفسير القرآن العظيم، للإمام "محمد بن جرير الطبري"التي تقع في ثلاثين جزءاً من القطع الكبير، بعنوان جامع البيان عن تأويل أي القرآن

[٤٠] المالكيّ، محمّد، **دراسة الطبريّ للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان**، نشر وزارة الأوقاف في المملكة المغربية، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ص، ٩٥

٢. إنه نوع من التفسير بالمأثور المحضّ، بما يبدو لمطالع هذا التفسير الجليل، من ظاهرة كثرة الروايات التي يستند إليها الإمام، مصدراً علمياً تقوم به الحجة، في معرض تفسيره، وإظهاره لمعاني التنزيل، والإفصاح عن حقائقه

٣. إن يُجزِّئ الآيةَ التي يُريدُ تفسيرَها إلى أجزاء ، فيفسرها جماة جملة ، ويعمدُ إلى تفسير هذه الجملة ، فيذكر المعنى الجملي لها بعدها ، أو يذكره أثناء ترجيحه عن كان هناك خلاف في تفسيرها

٤. إذا لم يكن هناك خلاف بين أهل التأويل فسَّر تفسيرًا جُمْلِيًا ، ثم قال : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

٥. وإذا كان بين أهل التأويل خلاف ، فقد يذكر التفسير الجملي ، ثم ينص على وجود الخلاف ، ويقول : واختلفَ أهلُ التَّأويلِ في تأويلِ ذلكَ ، فقال بعضهـم فيه نحوَ الذي قلنا فيه

٦. وقد يذكر اختلاف أهل التأويل بعد المقطع المفسَّرِ مباشرةً ، ثمَّ يذكر التفسير الجملي أثناء ترجيحه

٧. اعتمدَ أقوال ثلاث طبقات من طبقات مفسري السلف ، وهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين ، ولم يكن له ترتيب معيَّن يسير عليه في ذكر أقوالهم

٨. ويحرص على ذكر ما ورده عنهم بالإسناد إليهم ، ولو تعدَّدت الأسانيد في القول الواحد

٩. وقد يورد قول الواحد منهم ويعتمده إذا لم يكن عنده غيره

١٠. اعتمد الطبري النظر إلى صحة المعنى المفسَّرِ به ، وإلى تلاؤمه مع السياق ، وقد كان هذا هو المنهج العامَّ في تفسيره ، وكان يعتمد على صحة المعنى في الترجيح بين الأقوال

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الخالدي :صلاح عبد الفتاح :تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، الطبعة ١، ٢٠٠٢

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية – بيروت

الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق : علي محمد عمر طبقات المفسرين، مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة الأولى ، ١٣٩٦

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، سير أعلام النبلاء، المحقق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،

الطبري، أبو جعفر ، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

عباس التوفيق، محمد بن جرير الطبري ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ

العسقلاني، لسان الميزان، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م،

فتحي :دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى

المالكيّ، محمّد، دراسة الطبريّ للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان، نشر وزارة الأوقاف في المملكة المغربية، الطبعة الأولى ١٩٩٦

النووي، تهذيب الأسماء واللغات، المحقق مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر – بيروت

ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر – بيروت